



مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: التجارة وأهميتها في شمال بلاد الرافدين ما بين عامي (1900- 612 ق.م)

اسم الكاتب: أمل الكفري د. حسان عبد الحق

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/2731>

تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 09:05 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.

لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية
مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المنشاع الإبداعي التي يتضمن المقال تحتها.



التجارة وأهميتها في شمال بلاد الرافدين ما بين عامي (1900-612 ق.م)

أمل الكفري* د. حسان عبد الحق**

الملخص

لقد لعبت بلاد آشور عبر تاريخها الطويل دوراً مهماً في الحياة التجارية في منطقة الشرق القديم، إذ كانت تمثل حلقة اتصال رئيسية بحركة التبادل التجاري بين بلاد الأناضول وبلدان البحر المتوسط من جهة، وبين الأقسام الوسطى والجنوبية من أراضي بلاد الرافدين من جهة أخرى؛ إذ كانت تمر عبرها طرق المواصلات التجارية التي كانت تصل ما بين البحر المتوسط والخليج العربي وبحر العرب، ومن الغرب باتجاه الهند وبالعكس. كما كانت تقع بلاد آشور على خطوط المواصلات البرية التي تصل بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي، ويمثل وجود السلالس الجبلية في الشمال والشمال الشرقي صعوبات بالغة للتجار الذين يتبعون الطرق البرية.

وتأتي أهمية البحث من أن بلاد الرافدين خاصةً والشرق القديم عامةً كانت منشأ للحضارة منذ عصور ما قبل التاريخ، فدخلتها أقوام عدّة (كالأشوريين) حاملة ثقافات متعددة، مهاجرة إليها نظراً لإمكانياتها المتوفّرة التي نادرًا ما كانت تظهر في مناطق أخرى، فأسهموا بإنشاء المراكز التجارية وتهيئة الطرق التي امتدت من بلاد الرافدين وحتى غرب آسيا الصغرى وغرب المتوسط، وكانت القوافل التجارية التي تسير على طول تلك الطرق واصلة ببضائعها شواطئ آسيا الصغرى وعائدة بالعديد منها، وكان أهمها النحاس والذهب والفضة والأحجار الكريمة والأخشاب، وكانت هذه الأنشطة

* طالبة ماجستير - قسم التاريخ - تاريخ الشرق القديم - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق.

** دكتور - قسم التاريخ - تاريخ الشرق القديم - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق.

التجارية تمارس بحرية لدى فئات المجتمع الرافي وعناصره وعلى وجه الخصوص الآشوري، الذين كانوا متصدرين المنطقة الشمالية في ذلك الوقت، وإن الهدف الأساسي للبحث هو بيان الدور التجاري المهم على مدى قرون من الزمن، وإسهامه في نهضة المنطقة الاقتصادية وال عمرانية.

المنهج المتبعة في هذا البحث: المنهج التاريخي (الوصفي) الذي لا يكاد يخلو من التحليل والاستنتاج بالاعتماد على بعض النصوص الملكية الآشورية.

تتلخص أهم النتائج: أن المناخ أسهم بدور كبير في جعل الاقتصاد الأساس في المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين (بلاد آشور)، وأسهم النقص الذي عانته المنطقة ككل في المواد الضرورية الأولية من تمتين علاقاتها بالدول والممالك المجاورة وتعزيزها، وهذا ما جعلها تعتمد على التجارة في جلب تلك الموارد من المناطق الموجودة فيها ، كما جعلها منطقة عسكرية تقوم على حماية قواقلها وطرقها بالدرجة الأولى.

الكلمات المفتاحية:

الشرق القديم، غرب المتوسط، غرب آسيا الصغرى، المراكز التجارية، العراق القديم.

Trade and Its Importance in North Mesopotamia (1900-612 B.C)

Dr ..Hassan Abdel Haq

Amal Alkafri

Abstract

Research Topic: Throughout its long history, Assyria played a significant role in the commercial life of the Ancient Near East since it was a main connecting link in the activity of trade exchange between Anatolia and the Mediterranean countries on the one hand, and central and southern Mesopotamia on the other. Trade routes which linked the Mediterranean sea with the Arabian Gulf and the Arabian sea ran through this region as well as those which extended from the west of Assyria towards India and vice versa. Furthermore, Assyria was located on the land routes that connected the North-East and the South-west. However, mountain ranges running on the north and the north-east posed serious difficulties to the merchants who took these routes.

Significance of the research: Ancient Near East, and particularly Mesopotamia, was where civilization emerged in the Prehistoric era. Numerous human groups from various cultural backgrounds immigrated into Mesopotamia given the regions' features that were seldom available in other areas. Trade emporiums were set up as a result, and roads were paved, extending from Mesopotamia to western Asia Minor. Along these roads, trading caravans travelled to transport goods to Europe across the sea and came back loaded with them. Copper, gold, silver, precious stones, and wood were among the major goods carried back. These trading activities were practiced freely by the groups of the Mesopotamia society, especially the Assyrians who were at the forefront of northern Mesopotamia at the time.

Main Objective: Demonstrating the significant commercial role that Assyria played over centuries and the resultant economic and construction boom in the region.

Research Methodology: Historical descriptive curriculum, which is hardly devoid of conclusions and analysis by relying on certain Assyrian monarchical texts.

Conclusions: Climate resulted in economy being fundamental to northern Mesopotamia (Assyria). The regions' lack of natural resources to enhancing its relations with the nearby countries and kingdoms. Due to this lack, Assyria relied on trade to bring the needed resources from the countries in which they were available. Moreover, the region became a military zone, engaged in protecting its roads and caravans in the first place.

Key words: Ancient The East, Western Mediterranean, Western Asia Minor, trade emporiums, ancient Iraq.

المقدمة:

تعد التجارة إحدى السمات البارزة في حياة الآشوريين إبان عصورها الثلاثة، وفضلاً عن أن بلاد آشور بلداً زراعياً تعتمد فيه على المنطقة المحصورة ما بين وادي دجلة والضيق وامتدادات ذلك النهر، فإنها سعت إلى جانب ذلك للسيطرة على الطرق التجارية وإيجاد منافذ تجارية جديدة تضمن الازدهار لها، هذا فضلاً عن افتقار بلاد آشور للمواد الأولية الضرورية التي سعى الملوك الآشوريين إلى تأمينها عن طريق الحروب وغيرها مع البلدان المجاورة من أجل إنعاش الاقتصاد الآشوري، وقد أقامت هذه الدراسة الإشارة إلى التجارة في بلاد آشور بعصورها الثلاثة القديم والوسطى والحديث فتناولت أولاً دراسة المميزات الطبيعية والتجارية في بلاد آشور، ثم تم الانتقال إلى دراسة التجارة الداخلية في المملكة الآشورية وطبيعتها كما بُرِزَ الحديث عن نصوص حسابات وتنظيم القوافل التجارية ومن ثم قسم البحث للحديث عن التجارة في كل عصر على حدة، وأخيراً، تم الانتقال إلى الحديث عن الحديث عن دراسة التجارة الخارجية وأنواعها وأشكالها وأهم الموارد المتاجر بها في المملكة الآشورية وكذلك أهم الموارد المستوردة، وهدف هذه الدراسة التوصل إلى أن الآشوريين كانوا سادة الشرق القديم تجارياً في تلك المنطقة خلال تلك المدة من الزمن.

الدراسة المرجعية:

تعد الدراسات المرجعية من أهم ما يغنى البحث ويعززه بأدلة وشواهد ضمنية ويوفر له القوة والمتانة، كما يضيف إليه عدداً من النتائج التي ستبرز بدراسة بعض الجوانب ومنها أهمية التأثير التجاري في الوضع الحياتي والمعيشي في المملكة الآشورية خلال كل عصر، وهناك عدد من المصادر والمراجع التي تقيد البحث وتدعنه، وهي ذات فائدة كبيرة ليس للبحث فحسب بل لتاريخ الشرق القديم عموماً، منها ما هو مهم جداً ومنها ما هو أقل أهمية . وتم الاعتماد على كتاب طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الذي يعدّ مصدراً أول قيماً جداً لما يحتويه من معلومات تتحدث عن منطقة بلاد الرافدين

ومميزاتها، وهناك مؤلفات هاري ساغز (قوة آشور وعظمة آشور)، وجورج رو (العراق القديم)، وبعض المراجع الأجنبية المهمة.

Oates,D (Studies in the Ancient History of Northern Iraq).
Larsen,M.T(Old Assyrian Caravan Procedures).

فهذه المصادر والمراجع العديدة التي تلقي الضوء الأكبر على الدور السياسي والعسكري الذي لعبته المنطقة من أجل الحفاظ على استمرار تجارتها شرقاً وغرباً، وإن لم يذكر هذا بوضوح فسيقوم البحث بشرحه شرحاً مفصلاً بإلقاء الضوء على كيفية تطور التجارة من العصر القديم وحتى العصر الحديث وبيان أهمية التجارة على الصعيدين الداخلي والخارجي وتوضيح أنواع الموارد المصدرة والمستوردة من الخارج.

أولاً: المميزات الطبيعية والتجارية لمنطقة شمال بلاد الرافدين:

لقد كانت المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين (بلاد آشور) ذات طبيعة تالية متموجة تضم عدداً من السهول والأراضي الزراعية الواسعة والوديان¹، وكانت بأقسامها وسهولها الزراعية تتألف وحدة جغرافية متكاملة، وكان يظهر التباين في المناخ والتضاريس بين منطقة وأخرى، فقد سادت معظم أجزاء المنطقة ظاهرة التموج فكثرت فيها الجبال والسهول والأودية ما سهل حركة الإنسان والجيوش والقوافل التجارية من خلالها²، وهذا الأمر الذي جعل سهولها خصبة بشكل عام صالحة للزراعة؛ إذ إن سقوط الأمطار في أجزاء كبيرة من البلاد أتاح لها فرصة الاعتماد على الموارد الزراعية اعتماداً كبيراً وتصديرها في سبيل الحصول على الموارد التي لا تتجهها، وأيضاً وفرة الموارد المائية التي تدعم ذلك فتتوفر فيها الأنهر كالنهر الأعلى والأسفل حتى مصبها في نهر دجلة الذي يخترق البلاد من شمالها الغربي وحتى جنوبها الشرقي ما يجعلها تشكل المصدر الرئيس لمياه الشرب للإنسان والحيوان وسقاية الأرضي³، وعلى الرغم مما امتازت به

¹ Oates,D:Studies in the Ancient History of Northern Iraq, 1968, p. 7.

² ساكن، هاري: قوة آشور، تر. عامر سليمان، بغداد، 1999، ص 13-14.

³ باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ج 1، ط 1، 1963، ص 473.

بلاد آشور من خصائص جغرافية جعلتها بلداً زراعياً وافراً، إلا أنها لم تكن كافية لقيام دولة مزدهرة؛ إذ كانت تفتقر لعدد من المواد الأولية من المعادن كالنحاس والفضة والذهب وبعض أنواع الأخشاب كالأرز والأبنوس، التي كان وجودها في مناطق خارج المملكة الآشورية، ويصعب الحصول عليها دون خوض الحروب، فكان الآشوريون يحصلون على النحاس من كبادوكيا ومن ديلمون والهديد من منطقة برجاني-مادين في بلاد الأناضول وأن سيطرة الآشوريين على هذا المعدن وتسييره لصالح المملكة الآشورية كان يعني السيطرة على حياة الشرق القديم؛ إذ استعمله الآشوريين في صنع أسلحتهم وألاتهم العسكرية المستخدمة في حروبهم، وكان هذا عاملاً كافياً لتجيئه السياسة الآشورية الخارجية للحصول على تلك المواد من مصادر خارجية، وكما أن بلاد آشور كانت تحتوي على الأشجار علماً أنها لم تكن تغطي متطلبات المملكة المتزايدة، وهذا ما دفع الآشوريين لتأمينه من الخارج سواء من جبال لبنان أو جبال طوروس وغيرهما⁴، لذا حرص الآشوريين على إحكام سيطرتهم على المناطق الغنية بالأخشاب كما في المناطق الغنية بالمعادن، وهذا ما أدى إلى اصطدامهم بالممالك التي جاورتهم، كما عمل الآشوريين على تصدير معدن القصدير بكميات ضخمة جداً إلى بلاد الأناضول فلعبوا دور الوسيط لهذا المعدن، مقابل الحصول على معدن الذهب والفضة باستمرار لافتقار المنطقة إليهما⁵، بذلك لعبت بلاد آشور دوراً هاماً عبر تاريخها الطويل في الحياة التجارية.

ثانياً: أهمية التجارة الداخلية:

تجلت أهمية التجارة على صعيد السياسة الداخلية للملوك الآشوريين الذين أشاروا إلى دورهم في دعم التجارة الداخلية وتعزيزها، وتجلى ذلك واضحاً في كتابات بعض الملوك الذين ساهموا في تحسين الزراعة بيدHALM زراعة بعض المنتجات مما انعكس إيجابياً على تخفيض أسعارها، إلى جانب الزراعات التي كانت موجودة وتوسعوا في زراعتها

⁴ الأحمد، سامي سعيد: *التجارة موسوعة الموصل الحضارية*، ج 1، بغداد، 1991، ص 185 .

⁵ إيفانجيك، كيرشاوم: *تاريخ الآشوريين القديم*، تر. فاروق اسماعيل، دمشق، 2008، ص 46.

كزراعة السمسم وأشجار الزيتون والحصول على الزيوت الوفيرة منها واستخدامها في الطقوس الدينية والدنوية.⁶

كما يذكر في نصوص وكتابات أخرى للملوك الآشوريين، أن تأثير غنائم الحرب كانت من الأمور الأساسية التي أدت إلى خفض الأسعار للمواد التجارية في المنطقة نتيجة الحصول على بعض الموارد التي كانوا يجلبونها من حملاتهم العسكرية؛ إذ جاء في تعداد للثروة الحيوانية ما يأتي: "الممتلكات التي لا حصر لها والتي لم يستلم آبائي مثلها ، كدستها في مدينة دور شروكين وفي بلاد آشور اشتري (الأشياء) بسعر الفضة كما بالنحاس".⁷

أيضاً تجلت أهمية التجارة بوضوح على المستوى الفردي من حيث ورودها في نصوص المملكة، فعلى سبيل المثال جاء في النص الآتي ما يلي: "إذا رعد الإله أدد في اختفاء القمر فسوف يكون الحصاد وفيراً والأعمال مستقرة ".⁸

وفي نص آخر يذكر: "إذا ظهر القمر في وقت غير ملائم فإن الأعمال ستتهاجر" ، وهذا كان يعني أن الزراعة متعلقة بالأمور الدينية وبمباركة الآلهة بعض الشيء.⁹ أما التجارة على صعيد واقع الحياة اليومية فيمكن القول إن ما تم الكشف عنه من آثار بين أنقاض المدن الآشورية الرئيسية (نینوى وآشور وكالخ) تكشف عن أعداد هائلة من العقود والوثائق الاقتصادية المختلفة بأنواعها كعقود البيع والإيجار والقروض والرهائن والدين ...إلخ ، وهذه الوثائق تعكس حجم التجارة والتبادل التجاري التي كانت عليها بلاد آشور في ذلك الوقت، كما يمكن الوصول بواسطة تحليل تلك الوثائق والعقود إلى الحرية في ممارسة مختلف الأنشطة التجارية لكل فئات المجتمعات الآشورية وعناصرها

6 Luckenbill:Ancient Records of Assyrian and Babylonian, vol 1, Chicago, 1926, pp. 223, 225.

7 Luekenbill, (1926), p. 226.

8 Ibid, p. 229.

9 Reynolds,F:The Babylonian Correspondence of Esrabbaddon(SAA),vol18,Finland, 2003, pp. 1.2.

وأفرادها، التي كانت في بعض الأحيان تقوم بعقد الصفقات التجارية شخصياً، كما توضح لنا الوثيقة الآتية: "تعاقدت شدت بنت سين- أخي- ريب، ملك بلاد آشور وأخت آشور - أخي- أدين ملك بلاد آشور واشترت (تاك الأماكن) بسعر 8 منو من الفضة حسب منو مدينة كركميش). يلاحظ من تحليل هذه الوثيقة أن بعض الصفقات التجارية كانت تقام من قبل أفراد العائلة المالكة الآشورية (أي بدءاً بأعلى المراتب وصولاً للمجتمع كله)، والتي تعقد من قبل أفرادها شخصياً، وكانت تتضمن بيع أملاكٍ أو شرائها مثل (بيت وبستان وحقول وأشخاص).¹⁰

وفي بعض العقود يلاحظ رهن حقوق زراعية، وذلك مقابل قروض أعطيت لأشخاص ما، على أساس الانتفاع بالحقول لمدة من الزمن تقارب ست سنوات؛ ثلاثة سنوات لحراثته وثلاث سنوات لزراعته ، وذلك حتى يتم تسديد القروض لها، وهذا يفيد في دعم التبادل التجاري بين أطياف المجتمع وتسييره لاحتياجاتهم¹¹، وأيضاً كانت تعقد الصفقات التجارية بواسطة من يمثل الملوك وينوب عنهم في إدارة أعمالهم وأملاكهم، كما جاء في الوثيقة الآتية: "تعاقدت أبي- رام- أخت أم الملك. وستنفع بالحقول (كرهن) 3 (سنوات) لحراثته و 3 (سنوات) لزراعته بدلاً من 1/2 منو من الفضة (وعند) تثبيت (تقديم) الفضة عند حصاد الذرة فسيخرج من الحقل".¹²

كما جاء في عقود أخرى أن الموظف الآشوري المسؤول عن إدارة القرى التابعة لولي العهد الآشوري يتناول 6 أشخاص مع عقارات (حقول وبستان كروم وبئر) وقد تناول العقد ما يأتي: "تعاقد واشتري سي - مادي، مسؤول القرى، لابن الملك (ولي العهد) عقد ما مجموعه 6 عبيد عائدين ل - بدد Bidadi، عقار مساحته (...) (وبستان يضم) 600 شجرة كروم (و) بئر في قرية".¹³

10 Reynolds(2003)، pp. 4.7.

11 Ibid، pp. 6.11.

12 Ibid، p.25.

13Reynolds(2003)، p. 26.

أما عن حكام المقاطعات ورجال البلاط فقد كان دورهم الشخصي واضحًا في ممارسة الأنشطة التجارية، والدليل على ذلك ما جاء في عقد بيع يتناول أملاك تابعة لحاكم مدينة ريموسي Rimusi، وقد ذكر في العقد اسم الحاكم الشخصي في تلك الأراضي المباعة، ونص العقد على ما يأتي: "ختم السيد ملكيا ، حاكم مدينة ريموسي ، مالك الحقول ، البيوت ، البساتين ، الأشخاص (الذى) باع".¹⁴

إلى جانب أفراد العائلة المالكة ورجال البلاط وحكام المقاطعات، نجد الدور البارز الذي لعبه الأفراد العاديين الذين مارسوا الدور الأكبر في تنشيط الأعمال التجارية المختلفة؛ إذ كشف عن الآلاف من الوثائق الاقتصادية التي وجدت في العواصم الآشورية، وتعكس حجم النشاط التجاري الذي قاموا به في عمليات البيع والرهن والإيجار، التي كانت تحصل بينهم وبين عناصر من قوميات أخرى غير آشورية.¹⁵ كما تظهر بعض الأدلة النصية على أن حرية ممارسة الأنشطة والأعمال التجارية لم تكن مقتصرة على طبقة الأحرار والملوك فقد مارس العبيد أيضًا دورهم في ممارسة تلك الأنشطة وقاموا بها، كما يبدو ذلك واضحًا من عقد بيع أممة من عبد؛ إذ تناول النص ما يلي: "اختم مكن - آشور ، عبد مراقب القصر ، مالك الرجل الذي باع".¹⁶

ويلاحظ من هذه العقود أنه كان بإمكان العبيد في البلاد الآشورية الحصول على الممتلكات وممارسة الأعمال التجارية مهما كان نوعها على حسابهم الخاص ، وربما كان ذلك يرجع إلى التأثر بالقوانين البابلية التي أعطت للعبد فرصة ممارسة أعمالهم التجارية بشكل فردي أو شخصي وممارسة عملية البيع وأعمال أخرى شريطة أن ينفذ ذلك بموجب

14 Ibid، p. 26.27.

15 Ibid، p. 30.

16 Reynolds(2003)، p. 33.

عقد وشهادة الشهود¹⁷، كما تشير تلك القوانين إلى حصول العبد على الثروة واستقلاله بسكن خاص هو وعائلته، وكانت أملاك العبد بعد وفاته تؤول إلى سيده¹⁸.

وكانت وسائل التعامل اليومي في تلك الأسواق أي ما يتعلق بأسلوب تبادل السلع والبضائع، فقد كان استعمال الحبوب في المراحل الأولى هو الشائع، ولكن تتنوع المنتجات جعل من غير الممكن تحديد أسعار تلك السلع ما تطلب إيجاد وسيلة تكون ذات مرونة أكبر من الحبوب للتعامل التجاري، وكانت المعادن أفضل المواد لهذا الغرض، وكان التعامل بتلك المعادن على شكل صفائح أو أقراص أو حلقات تم ختمها للدلالة على نقاوتها¹⁹، وتأثرت التجارة الداخلية في آشور عبر بعض من المظاهر الاقتصادية الخارجية وذلك لإجراء المعاملات التجارية؛ إذ استعمل الآشوريين نوعاً من الأوزان أطلق عليها (من كركميش) نسبة إلى مدينة كركميش، وهذا الوزن يعد أحد المعايير الثلاثة لأوزان الفضة إلى جانب (من الملك ومن التاجر)، وهذا ما أشارت إليه العقود الاقتصادية الآشورية ومنها أحد العقود لإجراء معاملة شراء بستان؛ إذ ينص العقد على ما يلي: "اشترى مانوكى - أرابيل البستان من بالطى بثمن 4 منا من الفضة النقية (حسب من) مدينة كركميش".²⁰

تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأوزان كان الأكثر شيوعاً في النصوص الاقتصادية الآشورية مقارنة مع الأوزان الأخرى التي تمت الإشارة إليها.

لعل من الواضح من دراسة الوثائق الاقتصادية المكتشفة في عدد من المدن الآشورية، هو طغيان أعداد القراء بأنواعها وأشكالها وشروطها على بقية أنواع العقود الأخرى ، وهذا يمكن تفسيره باحتمالين: أولهما أن هذه القراء تمثل إحدى الإجراءات الأساسية في بلاد آشور لتسهيل أمور التجارة؛ إذ كانت تقدم لأشخاص للقيام برحلات

¹⁷ سليمان، عامر: نمذاج من الكتابات المسماوية (النصوص القانونية)، ج 1، بغداد، 2002، ص 95.

¹⁸ جاكبسون: التركيب الاجتماعي للأمبراطورية الآشورية الحديثة، العراق القديم، تر سليم طه التكريتي، بغداد، 1986، ص 447-448.

¹⁹ ايمار، اندريل، وجانيں ابویا: تاريخ الحضارات العام، تر فرید م. داغر وفؤاد ج. أبو ریمان، مج 1، بيروت، 2006، ص 159.

²⁰ سعيد، صفوان سامي: ملكتة الأرضي في العصور الآشورية، الموصل، 2001، ص 67-68.

التجارية وصفت بمصطلح (صاحب رحلة تجارية) بيل- خزان EN KASKAKL= bel، أما الاحتمال الثاني فهو بسبب الأزمات السياسية التي كانت تمر بها البلاد harran مثل انقطاع الطرق التجارية وعدم حمايتها وانقطاع موارد المملكة الخارجية وقيام الملوك بحملات عديدة لاسترجاعها وتأمينها ، أو كحدوث الكوارث الطبيعية التي كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر كالجفاف أو هجوم الجراد ما ينعكس ذلك سلباً على واقع الحياة الزراعية والمزارعين ومربى الحيوانات، ما يضطّرهم إلى اللجوء إلى المرايin واقتراض الأموال والحبوب لتيسير أمورهم المعيشية²²، وذلك مقابل شروط وضمانات تلزم أولئك المقترضين بأراضيهم، التي غالباً ما يكون تسديدها عند التذرية (موعد الحصاد)، فإن تعذر عليهم تسديد القروض وفائتها في الزمان والمكان المحددين، فإن الفائدة ستزداد بنسب أكبر ، وهذا يؤدي إلى استغلال المرايin لهم ودفعهم والضغط عليهم إلى تنازلهم عن أراضيهم أو استرقاقهم أو استعبادهم، لذا نجد في كثير من الأحيان أن ضمن الأرضي المباعة أشخاصاً يتحمل أنهم كانوا المالك السابقين لتلك الأرضي وهؤلاء ربما فقدوا حقوقهم في هذه البياتين بوصفهم ملأاً بسبب القروض وأخذوا ينتقلون مع العقار المباع من شخص إلى آخر كأقنان مرتبطين بالأرض.²³

كما كان هناك عقود أخرى تناولت بيع أشخاص يحملون أسماء آشورية الأصل، وربما هؤلاء فقدوا حريةهم بسبب القروض فأصبحوا يباعون ويُشترون كالعبد من شخص إلى آخر ، وللحد من هذه الممارسات قام الملوك الآشوريين بالتدخل عن طريق إصدارهم قرارات ومراسيم²⁴، تم بموجبها إلغاء بيعات وقروض مالية حدثت تحت ظروف اقتصادية صعبة تسمى أندورو anduraru وبموجبها يحرر المقترضون من جميع التزاماتهم نحو مقرضيهم وعلى أية حال ما لم يكن المقرض أو المشتري متاكداً من

²² يلاحظ من بعض الإشارات الواردة في عقود البيع الأموال المنقوله وغير المنقوله عن وجود أزمات اقتصاديّة كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر.

²³ سعيد، (2001)، ص 66.

²⁴ رشيد، فوزي: الشائع العراقيّة القديمة، ط3، بغداد، 1987، ص 223.

الحفاظ على حقوقه مسبقاً كان يجب التخلّي عن جميع حقوقه ومطالبه ضد البائع أو المقترض في حال صدور الإعفاء، وكان هذا الإعفاء يتوافق مع بداية فترة حكم كل ملك، ما يدل على نيات الملوك السياسية في كسب ود الشعب (ولا سيما الطبقات الكادحة والمناضلة منها) التي تدعمه في منصبه، ولا سيما في ظل الظروف الداخلية الصعبة وسعيه لتكوين إمبراطورية واسعة الامتداد، إلى جانب السعي وراء تأمين احتياجات الناس.²⁵

ثالثاً: نصوص تنظيم القوافل التجارية:

لقد تناولت هذه النصوص والوثائق كيفية إجراء الصفقات التجارية المختلفة ، كما تظهر أن التجار الآشوريين كانوا يعيشون في مراكز خاصة بهم في ضواحي المدن التي ينقلون إليها للمتاجرة، وكان يطلق على كل مركز اسم kar في السومرية وكاروم في الأكديّة karum، وهي تعني ميناء أو مركز تجاري، ثم اتسع مدلول الكلمة وأصبحت تعني مكان السوق، لتصبح الكلمة أخيراً تعني رابطة تجار المدينة²⁶، في حين كان يطلق على المحطات التجارية الصغيرة التي قامت بين المدن المصطلح الأكدي أوبارم (ubarum) أو وبارتم (wabartu) التي تعني محطة تجارية، وكانت مهمتها الحفاظ على طرق المواصلات والتجارة في المناطق غير الخاضعة لسيطرة الآشوريين.²⁷

وبحسب المعلومات المتوفّرة فقد بلغ عدد المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول أحد عشر مركزاً تجاريّاً من نوع كاروم وعشرين مركزاً أخرى من نوع وبارتم امتدت من بلاد آشور حتى سهل قونية في الجنوب الغربي من بلاد الأناضول²⁸، وكانت المواد التي يتاجر بها التجار بين بلاد آشور وببلاد الأناضول يمكن التعرّف عليها من الرقم المسماري حيث أن الآشوريين كانوا يستوردون من تلك البلاد بعض المعادن

25 Postgate, J.N , OP . Cit ,p216 ; Rander ,K, "The Neo -Assyrian Period " security for Debt in Ancient Near Eastern Law , Netherlands , 1979, pp .248-286 .

26 فرحان، وليد محمد صالح: العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير، بغداد، 1976، ص 19.

27 Garelli,P. Marchands et Tamkaru Assyrian en Cappadoce, vol 1,Iraq, p.39.

28 الأحمد،سامي سعيد: المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى، مجلة سومر، مج 33، 1977، ص 76.

المتمثلة بالنحاس والفضة، في حين كانوا يقومون بتصدير المنسوجات ومعدن الصدير بالدرجة الأولى²⁹ انكم AN.NA= annakum .³⁰

فيستنتج أن آشور كانت حلقة الوصل بين المعادن والأخشاب في الشمال ومناطق المنسوجات والمنتوجات الزراعية في الجنوب، إذ يكون هناك متعهد لنقل هذه البضائع وإيصالها إلى وجهتها النهائية لقاءأجر معين شريطة الالتزام والتعهد بالمحافظة عليها وتسليمها دون ضرر³¹، وكانت الحمير هي الوساطة التي استخدمت لنقل هذه البضائع، ولا يعرف على وجه التقدير كم كان عدد الحمير التي كانت تستخدم في القافلة الواحدة، ولكن حسبما تشير النصوص المكتشفة من قانش أن أعداد تلك الحيوانات المستخدمة في تسيير التجارة كانت تصل في ركب كبير إلى نحو 200 حمار.³²

كما لا يعرف على وجه التحديد متى بدأ نشاط أولئك التجار في المنطقة كتاريخ محدد نظراً؛ لأن أقدم التواريخ الواردة في الرقم المسماوية لا تشير بالضرورة إلى بدايات ذلك النشاط ، فيمكن أن يكون هناك مراكز في كبادوكيا منافية لم ينقب عنها يرجع تاريخها إلى فترة أقدم من مركز قانش، بل يمكن القول إن هناك نشاطات تجارية سابقة أجريت في قانش نفسها، ولم تكن بحاجة إلى تسجيل على رقم طينية وتعود لأجيال سابقة عدّة.³³

في الحقيقة لم تمثل المراكز التجارية الآشورية المكتشفة في كبادوكيا النشاط التجاري الخارجي الوحيد للأشوريين خارج مدينة آشور، فهناك أدلة وشواهد أخرى تشير إلى عائلات آشورية كانت تمارس النشاط التجاري لمناطق امتدت خارج آشور لتشمل منطقة نوزي أو (كركوك) مثلاً؛ إذ عثر في هذه المنطقة على وثائق تجارية تعود لشخصيات

29 Larsen,M.T:**Old Assyrian Caravan Procedures**, Netherlands, 1967, p. 4.

³⁰ سليمان، عامر وأخرون: **المعجم الأكدي**، ج 1، بغداد، 1999، ص 89.

³¹ سليمان، عامر : **النظم المالية والاقتصادية**، العراق في موكب الحضارة، ج 1، بغداد، 1988، ص 384.

32 Veenhof,K.R:**Aspects of Old Assyrian Trade and its Terminology**, Leiden:1972, p. 1.3.

³³ ساكي، (1999)، ص 52 - 55

آشورية مهمة مثل بوزور آشور وسين رابي، ويظهر أنهم تجار من آشور بدليل ورود إشارة إلى عبارة في المدينة (ان الم alim ina) التي تظهر دائمًا في الوثائق التجارية الآشورية في مراكزهم³⁴، ويظهر أن الأشخاص الذين تاجروا معهم أشخاص محلين، كما يرجح أن تاريخ الوثائق هذه تعود إلى بداية سنة حكم الملك الآشوري أرشم الأول 1939-1900 ق.م أو إلى نهاية حكم والده (ال - شم).³⁵

رابعاً: التجارة في العصر الآشوري القديم:

كان الدور التجاري الهام للمنطقة الشمالية فعلياً قد بدأ مع تولي شمشي أدد الأول الحكم في المنطقة سنة 1813-1781 ق.م، الذي يعد بحق الملك الآشوري الذي أولى اهتماماً كبيراً ولموسماً في شأن التجارة الآشورية بتأمين الطرق التجارية، فقد امتد بنفوذه إلى سواحل البحر المتوسط الغنية بمواردها الطبيعية، ويدل على ذلك مسلته التي أقامها في لبنان على سواحل البحر العظيم (البحر المتوسط)، وفي طريقه لذلك شملت سيطرته مدنًا وممالك مهمة تقع على تلك الطرق كمدينة ماري (تل الحريري بالقرب من البوكمال شرق سوريا)، وقام بتعيين ابنه يسمح أدد حاكماً عليها لأهميتها الاستراتيجية بوقوعها على الطرق التجارية على طول نهر الفرات والتي تعتبر الصلة ما بين الخليج العربي والبحر المتوسط³⁶، كما حاول السيطرة على مملكة يمخد مدينة (حلب الأمورية) ذات الأهمية التجارية لأنها تسيطر على الطرق المارة بين الفرات والبحر المتوسط التي ينبغي على القوافل التجارية والتجار اتباعها إذا ما أرادوا السير عبر الطرق الصحراوية المارة بمدينة تدمر والمؤدية إلى مدينة قطنا عند منتصف الطريق بين دمشق وحلب ثم إلى البحر المتوسط بتوطيد العلاقات مع مملكتي قطنا وكركميش (جرابلس على الضفة الغربية لنهر الفرات)، وذلك من أجل حصار يمخد من الجنوب والشمال وكانت مصلحة الملكتين مع شمشي أدد تقضي حماية نفسها من مملكة يمخد وسلامة مصالحهما

³⁴ تجدر الاشارة إلى أن الأسماء الواردة في البحث حسب اللفظ الأكدي.

³⁵ الأحمد، (1977)، ص 187.

³⁶ الأحمد (1977)، ص 83.

التجارية وضمانها، كما تمت السيطرة على مدينة الديرة (بدرة حالياً) جنوب غرب بغداد، والتي تعد من المحطات التجارية المهمة الواقعة على طرق المواصلات القادمة من بلاد عيلام فضلاً عن أهميتها لخط التجارة الممتد بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة³⁷، أما من الناحية الشرقية فتعد شوشرا (تل شمشارة حالياً)³⁸ من أهم الموقع التجارية التي سيطر عليها شمشي أدد في عهد حاكمها المدعو كور (kuwari) بوصفها مركزاً لتجارة القصدير بين إيران وببلاد آشور كما يوجد فيها مركز لصناعة الأسلحة؛ إذ عثر فيها على قوالب لصب رؤوس الفؤوس. كما أنها تتمتع بموقع عسكري إستراتيجي لصد هجمات القبائل الجبلية³⁹، فضلاً عن هذا فقد أولى شمشي أدد عناية كبيرة للداخل في سبيل دعم النشاط التجاري الداخلي لبلاد آشور، فقد تم الكشف عن أعداد هائلة من النصوص والوثائق الاقتصادية الآشورية في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد الأناضول في الإقليم المسمى كبادوكيا⁴⁰، ويقول الملك في أحد نصوصه في ذكرى بنائه معبد الإله "إنليل" في آشور ما يلي: "عندما بنيت معبد سيدي الإله إنليل ، الأسعار في مدينتي، آشور (كان) بالإمكان شراء 2 كور من الشعير بـ 1 شقل من الفضة ، وـ 15 منو من الصوف بـ 1 شقل من الفضة ، وـ 2 سوت من الزيت بـ 1 شقل من الفضة ، طبقاً لأسعار مدينتي آشور". وهذه النصوص توضح انتقال كثير من التجار والمسافرين الآشوريين إلى تلك البلاد وإقامتهم لmarkets التجارية الخاصة بهم هناك منها كول تبه (kanish) kuz Tepe (kanish) وبوغازكوي (حاتوش) وعلى شار (انكوفا) في موضع العاصمة حاتوش.⁴¹

³⁷ ساكن، هاري: **عظمة بابل**، تر. عامر سليمان، الموصل، 1979، ص 80 .

³⁸ تل شمشارة يقع على الضفة الشرقية لنهر الزاب الصغير وعلى بعد 8 كم جنوب شرق رانية و5 كم غرب المضيق الجبلي المسمى مضيق سنكله الذي يمر فيه الزاب. ياقر(1963)، ص 211.

³⁹ Laesson, J.: **Peopole of Ancient Assyria**, London, 1963, p.151.

⁴⁰ ربما يرجع سبب اختيار إقليم كبادوكيا لإقامة المراكز التجارية الآشورية كونه يقع وسط إقليم قبصية الخصب في مكان تلقي وتقترن فيه الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب عند نهاية الهضبة الأنضولية الوسطى. الأحمد، (1977)، ص 188.

⁴¹ Larsen(1967), p.12.

إلى جانب هذه الاهتمامات فقد برزت آشور خلال هذا العصر بوصفها مركزاً تجارياً هاماً في المنطقة؛ إذ لعب تجارها دوراً كبيراً في الحياة التجارية في شمالي سوريا وأسيا الصغرى (بلاد الأناضول)؛ إذ شهدت هذه الفترة صلات تجارية وحضارية واسعة النطاق لم تشهد لها مثيلاً من قبل.⁴²

خامساً: التجارة في العصر الآشوري الوسيط:

لقد شهدت بلاد آشور خلال عصرها الوسيط نشاطاً تجارياً واضحاً على الصعيدين الداخلي والخارجي، انعكس إيجابياً على النشاط التجاري في غرب آسيا الصغرى وساحل البحر المتوسط، كما أن هذا الانعكاس امتد أيضاً إلى الشرق حيث بلاد عيلام.

فعلى الصعيد الداخلي، إن ما كشف عنه من الوثائق والنصوص الاقتصادية والتجارية بالذات في مدينة آشور، تظهر النشاط البارز في عمليات بيع الأملك العقارية وشرائها وفق أسس قانونية متعارف عليها بواسطة الملك، ويظهر ذلك في بعض النصوص التي عثر عليها؛ إذ كانت الصيغة المعروفة والمألوفة في معظم عقود البيع هي كالتالي: "سيحرر (البائع) الحقل من (الادعاءات)، ويتم قياسه بالقياس الملكي (وأن) يكتب وثيقة قوية (ثبتة) أمام الملك". وتأتي هذه الصيغة أحياناً في عقود البيع الجماعية كالتالي: "سيحرر (البائعون) الحقل (من الادعاءات) (ويتم) قياسه بالقياس الملكي (وأن) يكتبوا وثيقة قوية (ثبتة) أمام الملك".⁴³

فعملية تحرير هذه النصوص دليل يؤكد وجود إجراءات اتبعت في عملية بيع الأراضي، والتي تم الاحتفاظ بها بصورة جزئية في القانون الآشوري⁴⁴، وهذه الإجراءات تنص على وجوب إعلان بيع المالكين لأراضيهم بصورة رسمية أمام الناس وعندما لا يكون هناك اعتراض على البيع يسجل البيع بوثيقة ثابتة تودع في سجلات المملكة الرسمية لأسباب تتعلق بحفظ حق المالك الجديد للأرض أو العقار المباع من أي ادعاء

⁴² الأحمد، (1977)، ص 71.

⁴³ حول هذه النصوص انظر: سليمان، (2002)، ص 266-268.

⁴⁴ حول نص المادة القانونية انظر :

Driver,G.R and Miles,J.C: The Assyrian Lawes, Oxford, 1935, p. 428 -431.

قد يؤثر في العقار في المستقبل أو فرض خدمة السخرة (ilku) على ملاك الأرضي، وإلى جانب عملية بيع الأرضي، تظهر مجموعة أخرى من النصوص والوثائق المكتشفة في مدينة آشور تظهر النشاط في إقراض الأموال مقابل رهن الأموال المنقوله وغير المنقوله أو الاثنين مع بعض، فالشروط التي كانت تلزم المقترض بأرضه وبيته وماليه وأولاده هي على أنواع، منها:

- 1- في حالة "إذا لم يرد (المقترض) القصدier بعد ستة أشهر فسيكون (المقترض)
مالك حقله ".⁴⁵

- 2- للمقترض الحق في أن يستعيد العقار المرهون في أي وقت شريطة أن يدفع القرض وفائضه "في اليوم الذي يعيد القصدier (المبلغ) وفائضه سيحرر حقله".⁴⁶
- 3- ضمان المقترض للقرض بممتلكاته من الأرض أو البيت أو الأولاد أو جميعهم في آن.

واحد "سيدفع (المقترض) حقله وبيته وأولاده وبناته والقصدier إلى حامل لوحه".⁴⁷
يمكن الملاحظة أن المثال الأخير من هذه القروض والعقود هو عبارة عن na –si –pi –tup –su" والتي تعني حامل لوحه، وهي تعني مفهوم الصكوك في وقتنا الحالي، فقد وجد في عدد من هذه القروض والعقود إشارة إلى عبارة (حق) حامل الرقم الطيني وذلك بعد أن يثبت حق المقترض وكمية الأموال الواجب دفعها من قبل المقترض، كما كان المقترض يقوم بحفظ تلك الرقم الطينية إلى أن يحين موعد دفع القرض، كما كان يمكن إعطاء ذلك الرقم إلى غيره أو بيعه إلى شخص آخر، وعلى أساس ذلك يكون الشخص المشتري قد امتلك الرقم وما ورد فيه من حقوق، وهذا عرف في الوثائق باسم

45 Roth,(1997), p177- 178.

46 Ibid., p. 179.

47 Ibid., pp. 180- 181.

(حامل الرقيم)، ويصبح المفترض بموجب ذلك النقل ملزماً بدفع ما ورد في الرقيم من التزامات بحكم القانون.⁴⁸

أما خارجياً، فيمكن أن نستنتج من النصوص المسمارية وجود نشاط تجاري خارجي سواء أكان على مستوى المملكة أم على المستوى الشخصي، مثل الوثائق الاقتصادية المكتشفة في تل الرماح الواقع على بعد 13 كم غرب تل عفر، التي ترجع بتاريخها إلى عهد الملك الآشوري أدد نيراري الأول 1275-1307 ق.م. وتظهر نشاطاً تجارياً آشوريًا في عملية إقراض الحبوب (الشعير) والقصدير مع بلاد نائيري الواقعة جنوب غرب بحيرة وان⁴⁹، وأيضاً يمكن أن يستدل من النصوص على سعة حجم التجارة والتبادل التجاري التي كانت تقييمها بلاد آشور مع المدن والممالك السورية في عهد الملك شلمان - أشريد الأول (شلمنصر الأول) 1274-1254 ق.م، وذلك بواسطة معاهدة اشترط بموجبها الملك الحثي تودخلياً على تابعه الآرامي شوشكا موسواش ملك دولة أمورو Amurru في سورية مقاطعة بلاد آشور تجارياً؛ إذ يأمره بما يأتي: "ألا يذهب تاجر من عندك إلى بلاد آشور - ولن نسمح لتاجر منهم أن يدخل بلادك وأن يمر بها . وإذا أتي واحد إلى بلادك اقبض عليه وأرسله إلى الملك الحثي".⁵⁰

كما يمكن التوصل من جانب آخر إلى أن رسالتى الملك الآشوري آشور أوباليط الأول 1330-1365 ق.م إلى فرعون مصر أختانون تظهران نيات الملك الآشوري والرغبة غير المعلنة لديه في تنشيط حركة التبادل التجاري هذا، فضلاً عن تعزيز العلاقات الدبلوماسية والودية بينهما فيقول في الرسالة الأولى:

"إلى ملك مصر قل: هكذا يقول آشور أوباليط، ملك بلاد آشور، عسى أن تكون بخير أنت وبيتك وأرضك وعرباتك وقطعاك، لقد أرسلت مبعوثي إليك ليراك ويرى بلادك ولقد

⁴⁸ حمود، حسين ظاهر: *ابتكار النقود في العصر البابلي القديم والتعامل التجاري بالصكوك وتأثره على البلدان المحاورة*، بحث ألقى في الندوة العالمية لمهرجان بابل الدولي، بغداد، 2000، ص 5-6.

⁴⁹ pp. 154. 174. 1868، Iraq, vol 30; H.W.F: *The Tell Al Rimah Tablets*, Saggs

⁵⁰ ساکر(1999)، ص 79.

بدأت الاتصال بك اليوم حيث لم يسبق لآبائي السابقين أن اتصلوا بك. ولقد أرسلت لك عربة جميلة وزوجين من الخيول وجوهرة من اللازورد الحقيقي لا تعطل مبعوثي الذي أرسلته إليك، فإنه سيراك ثم يتعرف على بلادك".

أما في الرسالة الثانية، فإنه يشير إلى مبعوثين مصريين استقبلوا في البلاط الآشوري؛ إذ جاء فيها ما يأتي: "إلى أخي قل هكذا يقول آشور أو بالط ملك بلاد آشور الملك العظيم، أخي عسى أن تكون بخير أنت وعائلتك وببلادك. عندما رأيت مبعوثيك كنت فرحاً جداً، مبعوثيك استضيفوا بكل شرف في بلاطي".⁵¹

فيمكن أن يلاحظ من هاتين الرسائلتين الرغبة المتزايدة لدى الآشوريين في تعزيز علاقتهم مع الدول التي تجاورهم من أجل تنشيط حركة التجارة والحفاظ عليها في سبيل تغطية وتأمين متطلبات الحياة لديهم وتوفير احتياجاتهم منها، لكن بعد تلك الفترة دخلت البلاد الآشورية حالة من الركود والجمود وتعرضت للفوضى حتى دخلت عصرها الحديث واستعادة قدراتها ونشطت حركتها التجارية من جديد.

سادساً: التجارة في العصر الآشوري الحديث:

في الواقع لم تكن العناية والاهتمام بأمور التجارة وتأمين طرقها خلال هذا العصر أقل شأناً في السياسة الخارجية والداخلية للملوك الآشوريين، بل على العكس كانت عاملاً أساسياً وركيضاً هاماً في بناء المملكة المترامية الأطراف التي سعى ملوكها إلى بنائها بإرسال العديد من الحملات العسكرية في سبيل تثبيت أركانها وحمايتها من الأخطار الخارجية أولاً، وتأمين سلامة الطرق التجارية المؤدية إلى مواطن المواد الأولية والمصنعة، التي أصبح الطلب عليها ضرورياً، ولابد من تأمينها وتوفيرها تلبية للتغيرات التي أصبحت تشهدها المنطقة منذ بداية عصرها هذا.⁵²

⁵¹ ساکز (1999)، ص 69-70.

⁵² ديلابورت، ول: بلاد ما بين النهرين حضارة بابل وآشور، تر محرم كمال، ص 257.

فعلى الصعيد الخارجي نجد أن للحروب والحملات التي كان الملوك الآشوريين يرسلونها، كالحملات العسكرية التي خاضها الملك آشور ناصر أبل Assur-nasir-apli (آشور ناصر بال الثاني) 859-883 ق.م، في الجهات الشمالية الغربية التي كانت ضد الدوليات الآرامية، وكان من أبرزها مملكة بيت أدينى⁵³، كان لها أهداف اقتصادية بالدرجة الأولى إلى جانب الأهداف العسكرية المتمثلة في القضاء على خطر هذه الدوليات وتأمين الطريق المؤدية إلى بلاد الشام وساحل البحر المتوسط والغرب وسلامتها وحمايتها من خطر هؤلاء، بالإضافة إلى ضمها وجعلها تحت السيطرة الآشورية لما تمثله من مصدر قلق كبير لبلاد بابل التي رأت في السيطرة الآشورية على الدوليات الآرامية في سوريا، والتي تقع على الفرات والخابور تهديداً خطيراً لمصالحها التجارية مع المدن التي تقع على ساحل البحر المتوسط، مما دفع بالملك البابلي نابو أبلو أدينى 855-887 ق.م ، إلى التحالف مع حاكم سوخى الذي رفض دفع الإتاوة والضرائب للملك الآشوري وقيامه بمواجهة جيشهم العظيم⁵⁴ ، ولكن مع ذلك، فإن هذا الحلف لم يستطع الصمود أمام قوة الجيش الآشوري، كما ادعى آشور ناصر أبل في كتاباته، وكما يرى أحد الباحثين أن دوافع الهجوم الآشوري المفاجئ لبلاد بابل من قبل ابنه شلمان أشريد Sulmanu-assared (شلمنصر الثالث) 824-858 ق.م ، وحفيده شمشي أدد الخامس 811-823 ق.م كان لأسباب اقتصادية؛ إذ ليس هناك ما يشير إلى أن بلاد بابل كانت تمثل خطراً على بلاد آشور أو حتى تمثل تهديداً مباشراً للطرق التجارية آنذاك، بل إن من دوافع هذا الهجوم تأمين تلك الطرق وحمايتها حيث كانت القبائل الكلدانية مسيطرة على الجنوب من بلاد بابل في عهد هذين الملوكين الآشوريين، واستناداً لقوائم الملوك الآشوريين فقد وجه شمشي أدد الخامس حملاته ضد تلك المنطقة بالذات لما تتمتع به من أهمية خاصة في تجارتها مع الهند والجزيرة العربية التي تأتي عبر الطريق المار شمالاً حيث عمان وديلمون (البحرين)، ولكن في فترات لاحقة أدت

⁵³Sagges(1868),p182.

⁵⁴ساکز(1999)، ص.73.

التحركات العرقية في شمال إيران إلى تغيير تلك الطرق، إذ أصبحت تمر من جنوب إيران (عيلام) وبابل، فمن المتوقع أن الملك شمشي أدد الخامس حاول بسط سيطرته على الطرق التجارية بين الموانئ الجنوبية عبر بلاد بابل على طول نهر دجلة⁵⁵، كما كانت دافع تتنظيم حركات المناوبة والمناهضة من مصر ضد النفوذ الآشوري من جنوب سوريا وفلسطين منذ عهد الملك الآشوري توكلتي أبل إيشر Tukulti-apil –Esarra (تجلات بليصير الثالث) 744-727 ق.م حتى عهد السلالة الشروكينية لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى، فقد شكلت الحملات العسكرية التي تولى قيادتها "توكلتي أبل إيشر" الثالث على الجبهة الغربية بهدف السيطرة على الساحل الفلسطيني الممتد جنوباً حتى المنطقة التي تعرف الآن بقطاع غزة، ويتمثل هذا الهدف بسيطرة الآشوريين على الطرق التجارية والتحكم بالتجارة المصرية بوضع القيد وفرض الضرائب على تصدير الخشب إلى مصر من لبنان، وذلك تهديداً لمصالح مصر الخارجية ، كما يظهر ذلك من رسالة (قردي-آشور - لامر Qurdi-Assur-lamur) ، وهو الموظف الآشوري المسؤول عن الموانئ البحرية في صيدا وصور إلى الملك الآشوري توكلتي - أبل - إيشر الثالث وهذه الرسالة نصت على ما يأتي: "إلى سيدى الملك عبد قردي - آشور - لامر بخصوص (حاكم) مدينة صور الذي قال لي الملك بأن علي التحدث إليه برفق - كل الأرصفة (مفتوحة) له، وأتباعه يدخلون الأرصفة ويخرجون كما يرغبون ويبיעون ويشترون. جبل لبنان تحت تصرفهم ينزلوا ويصعدوا حسب رغبهم وينزلون الأخشاب، فرضت ضريبة على كل واحد ينزل خشبًا وعيت جبة الضرائب على كل أرصفة جبل لبنان ويتوالوا الحراسة وعيت جابي الضرائب على كل أولئك الذين ينزلون إلى الأرصفة التي في صيدا إلا أن الصياديّين اختطفوه وعليه أرسلت ا-tone itu⁵⁶ إلى جبل لبنان

⁵⁵ محمود(2000)، ص 34.

⁵⁶ ا-tone هي إحدى القبائل الآرامية التي اتصفت بإمكانياتها القتالية الخاصة والتي استخدمت من الملوك الآشوريين كقوات احتياطية ضمن الجيش الآشوري. أحمد، علي ياسين: **القبائل العربية في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد ، وقائع ندوة الوطن العربي عبر التاريخ**، بغداد، 2000، ص 32.

وجعلوا الناس يرتعبون، بعد ذلك أرسلوا إلي وجلبوا (ارجعوا) جابي الضرائب إلى صيدا وأصدرت أمراً لهم أنه بإمكانهم أن ينزلوا الخشب ومزاولة أعمالهم إلا أنه لا يمكنهم بيعها إلى المصريين أو إلى الفلسطينيين⁵⁷.

وأيضاً هناك الحملات العسكرية التي قادها ملوك السلالة الشروكينية، كالملك شروكين sarru-ken (سرجون الثاني) 705-721 ق.م، والملك سين -اخي - ريب sin Assur - ahhe -riba (سنحاريب) 681-704 ق.م، وآشور - اخ - ادين - Assur- bani (اسرحدون) 680-669 ق.م، وآشور - بان - ايل apli iddin (آشور بانيبال) 668-627 ق.م، ضد البلدان والأقاليم المجاورة لبلاد آشور فهي فضلاً عن أنها أهداف عسكرية تحاول القضاء على أي قوة أو جهة من شأنها زعزعة أمن البلاد الآشورية كانت لها أهداف اقتصادية؛ إذ سعى ملوكها إلى تحقيقها؛ فحملاتهم على صعيد الجبهة الشمالية ضد مملكة أورارتو (المتمردة حول بحيرة وان) كانت بهدف السيطرة على الطرق التجارية عن طريق قوي Qui (كيليكيما) والأناضول، ولا سيما أن الصراع بين الملكتين الآشورية والأوروبية قد تمركز حول المناطق الغنية بالمواد الطبيعية في شمالي سوريا وجنوب كيليكيما والمناطق الواقعة جنوب شرق بحيرة أورميا ، ولا سيما أن سوريا ذات أهمية تجارية كبيرة بالنسبة لآشور ؛ لأنها محطة تجارية نهائية لطرق عده بين كلا الأطراف، فسيطرتهم على كيليكيما تتمثل في الحصول على مصدر الحديد وفتح الطريق المؤدية إلى المراكز اليونانية في آسيا الصغرى⁵⁸ ، ولعل حملات الملك سنحاريب العسكرية على الجبهة الشمالية ضد كروا kirue حاكم مدينة البرو IIIibr لها الهدف نفسه، كما جاء في نصوص هذا الملك؛ إذ يقول: " كروا محافظ مدينة البر العبد التابع الذي سخطت عليه آلهته، بسبب إثارة رجال مدينة خلك Hilakku (كيليكيما) وجعلهم مستعدين للحرب. الناس الذين يسكنون مدينة إمكرالا imgirala وببلاد ترز Tarzi ، أتوا لمساعدته وسيطروا على طريق قوي وأغلقوا طرق المواصلات". أما عن

⁵⁷ Roth(1997)، p. 181.

⁵⁸ ساكي(1999)، ص 115.

حملات الملوك الآشوريين على الجهة الغربية، والتي كانت ضد القبائل الآرامية ، فكانت تكمن تحت هدف السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى المدن الساحلية الغنية بمواردها المعدنية والخسبية، ولعل الخطر الذي يمثله انتشار الآراميين في أصقاع واسعة من الشرق الأدنى القديم وسيطرتهم على طرق التجارة وتحكمهم بالقوافل المارة عبر أراضيهم دليل واضح على ما جاء في الرسالة التي بعثها حاتوشيلي الثالث ملك الحثيين إلى ملك بابل كدشمان إنليل الثالث نحو سنة 1275 ق.م إذ جاء فيها ما يأتي : "إن الأخlamo قد جعلوا الطرق بين الملكتين حافلة بالأخطار والمصاعب".⁵⁹

من ذلك يلاحظ أن جهود الآشوريين ومساعيهم في حملاتهم على مختلف الجهات لم تقتصر فقط على دعم التجار والتجارة بتأمين طرقها وحمايتها من الأخطار الخارجية، بل كانوا يهدفون إلى تنشيط التبادل التجاري وتعزيزه عن طريق إقامة العلاقات السلبية التي تتناول تبادل الهدايا والعلاقات الزوجية وغيرها، ويمكن التوصل من كتابات الملك شروكين الثاني (الآشوري) إلى تأكيد ذلك بواسطة دوره وجهوده الواضحة في تنشيط التجارة وفتحها بين الآشوريين وسكان مصر، فيقول في أحد نصوصه: "فتحت ميناء بلاد مصر المغلق وأدمجت سكان بلاد آشور مع سكان مصر وجعلتهم يشتغلون سوية بالتجارة".⁶⁰

ولعل في هذه النصوص ما يثبت واقع الحياة التجارية وتنشيطها يومياً في البلاد الآشورية. وفي أحد النصوص التي تتعلق بقضايا المحاكم بشأن تجار مصريين قاموا بزيارة آشور، فقام عدد من الرجال الآشوريين المجرمين بمهاجمتهم، فدخلوا بيت خببي Hakubaya كضيوف أجانب. ويأتي في النصوص ما يأتي: "دخلوا تجار مصريين بيت كضيوف أجانب شمش - رش - اش issi - Samas الكاهن (و) أي - ناصر Nabute (و) مرنزي Marnuri (و) ال - سقا saqa (و) نبوت nasir".

⁵⁹ سومو، دويونت: الآراميون ، تر الأب البير ابونا، سومر، مج 19، 1963، ص 68.
⁶⁰ pp 184.188. Roth(1997)

المجموع خمسة مجرمين الذين هاجموا التجار المصريين في بيت خببي⁶¹. فالملاحظ من هذا النص أن استعمال عبارة كضيف أجانب a-na u-ba -ra -tu في وصف التجار المصريين في بلاد آشور، تشير في محتواها إلى العلاقات التجارية الواسعة بين البلدين سواء على المستوى الشخصي كأشخاص تجار (قطاع خاص) أو على مستوى التجارة الدولية (قطاع دولة عام).⁶²

سابعاً: التجارة الخارجية وأنواعها في بلاد آشور:

تعد التجارة عبر تاريخها الطويل إحدى الركائز الأساسية المساهمة فعالة فعالة في نمو اقتصاد وتطوره؛ أي مجتمع من المجتمعات، كونها تعد الواسطة التي تدفع الإنسان إلى تأمين حياته اليومية من السلع وال الحاجات المختلفة، فضلاً عن كونها تمثل القناة التي يصرف الإنسان عبرها فائض حاجاته التي أنتجها من البضائع والمواد المختلفة لذا فإن التجارة تعد مرآة تعكس بوضوح واقع الحياة المعيشية والنظم الاقتصادية التي عاشتها المجتمعات.⁶³

وهناك عدة عوامل جعلت الآشوريين تجارة ناجحين، كما دفعتهم إلى الاهتمام بالتجارة الخارجية لبلادهم من أجل تدعيم نشاطهم الاقتصادي كون بلاد آشور بلداً زراعياً، ولهذا السبب عدت التجارة العامل الثاني بعد الحروب بإسهامها في ازدهار الآشوريين اقتصادياً بشكلها الخارجي والداخلي⁶⁴، وكانت التجارة والحروب عاملاً أمريّاً مرتبطين بعضهما في بلاد آشور منذ أقدم العصور، ويبدو أن وضعها كان مختلفاً من عصر لآخر تبعاً لاختلاف الظروف السياسية والعسكرية للمنطقة ، وكان الآشوريون قد نجحوا في إقامة مراكز ومنشآت تجارية خارجية لهم عن طريق حروبهم وكان أهمها في بلاد الأناضول

⁶¹ ساكنز، (1999)، ص 71-105.

⁶² سومو(1963)، ص 74-78.

⁶³ سعيد، صفوان سامي: *التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء النصوص المسماوية*، أطروحة دكتوراه، الموصل، 2006، ص 10.

⁶⁴ ساكنز، (1999)، ص 247.

تعرف بالكاروم وتعد حالياً بمثابة غرف تجارية أشهرها كانيش⁶⁵، ونتج عن تلك المراكز والغرف التي أنشأت هناك أن تدفقت الثروة والأموال على بلاد آشور عن طريقها، الأمر الذي جعلها أكثر قوة سياسياً، ما مكنتها من استثمار الدعم الاقتصادي لخدمة القطاع العسكري وقوتها الحربية، وهذا ما دفع بملوكها نحو السيطرة على الطرق التجارية المهمة كسيطرتهم على منطقة الديرة؛ لأنها تعد إحدى الطرق التجارية المهمة عبر إيران⁶⁶، فضلاً عن سيطرتهم على بعض المدن المهمة مثل أور، وتحكمهم بالتجارة والطرق⁶⁷، فنح الأشوريون في تحقيقهم ازدهاراً اقتصادياً عبر إقامتهم لتجارة تبادلية ناجحة مع الأقاليم المجاورة لهم، ورافق ذلك حركة تأمين احتياجاتهم من المواد الخام التي كانت البلاد تقصر إليها على وفق عمليات استيراد منظمة⁶⁸.

وكان أهم ما استوردته الأشوريون هو معدن القصدير الذي كانوا يجلبونه من جبال قره داغ قرب تبريز في إيران ومن أواسط آسيا عند وادي فرغانه ومنطقة شمشارة الواقعة في شمال شرقي المملكة الآشورية، إلى جانب حصولهم على هذا المعدن من التجار الفينيقيين الذين كانوا يحصلون عليه في الغالب من صقلية وكورنوا في إنكلترا حالياً، والتي عرفت بجزر القصدير⁶⁹، أيضاً حصل الأشوريون على النحاس من قبرص وعمان عبر التواصل التجاري مع الأجزاء الجنوبية من بلاد الرافدين، كما كان الحديد من المعادن المهمة التي استوردها الأشوريون من المناطق الشمالية القريبة من آشور ومنها منطقة موماعنيت، وكما جلبوه من حران أيضاً، وكان استحسان هذا المعدن يتم عن طريق الآتاوات والضرائب التي تدفعها هذه المدن، أما الفضة فقد استوردها الأشوريون من كيليكيا في آوسط آسيا الصغرى حيث مناجم بلفار الغنية بالفضة ومنطقة كسري،

⁶⁵ كانيش: هي إحدى المواقع الأثرية وتسمى حالياً كول تبه وتقع بالقرب من قيسارية (عند قرية قره هيوك) في الأناضول. الأحمد(1977)، ص 70-71.

⁶⁶ ساكن(1979)، ص 86.

⁶⁷ تعد مدينة أور من المدن المهمة كونها تحتوي على ميناء تجاري هام. الغنيان، أحمد مالك: نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، اطروحة دكتوراه، بغداد، 1991، ص 122.

⁶⁸ كانجيك،(2008)، ص 50.

⁶⁹ الأحمد(1991)، ص 193.

وأما الرصاص فكانوا يجلبونه من سوريا ومن الجبال الغربية للمملكة الآشورية⁷⁰، واللازورد كانوا يحصلون عليه من القبائل الميدية الذين كانوا بدؤاً رحل يتجلبون في معظم أنحاء المنطقة الشمالية، وكان لمعرفتهم بالطرق البرية أثره البارز الذي ساعدتهم في جلب بضائع للمملكة الآشورية، ولا سيما اللازورد من أفغانستان⁷¹ حيث مناجم بدخشان الموجودة في شرق أفغانستان⁷² ، والتي تعد المصدر الرئيسي لإنتاج هذه الأحجار، كما استورد الآشوريون من ديلمون أحجار اللازورد والعقيق والعااج الذي يجلب من الهند والأصفاف واللؤلؤ المعروف بالمصادر المسماوية بعيون السمك⁷³ وهذا كله يدل على مدى حاجة آشور لتلك المعادن وتحصيلها بشتى الطرق لافتقارها لها، وكان التحصيل في معظم الأحيان عن طريق الحملات العسكرية التي يقوم بها الملوك.

أما الأحشاب، فقد كانت المناطق الغربية والشمالية والشمالية الغربية للمملكة الآشورية من المناطق المهمة والحيوية بإنتاج الأخشاب ولا سيما في منطقة جبال لبنان وجبال الأمانوس؛ إذ تميزت بأنها ذات نوعية جيدة، أما الخيول، فكانت كيادوكيا والسهول التيسية في الشمال والشمال الشرقي من المملكة هي المصدر الرئيس. كما اشتهرت المملكة الآشورية بأنواع من الخيول أهمها: الكوسية والواسية ما يدل على تنوع مصادرها للمملكة، واستخدامها في الحروب⁷⁴.

أما فيما يتعلق بتجارة المواد الزراعية فقد تميزت تجارتها بالتنوع، وكان التفاخ من بين المواد التي فرض الملوك الآشوريون أتاوتها على بعض المناطق المنتجة له؛ إذ كانت

⁷⁰ الأحمد (1991)، ص 193-194.

⁷¹ طه، منير يوسف: علاقات الآشوريين مع الأقاليم المحاذية، موسوعة الموصل الحضارية، مج 1، الموصل، 1991، ص 118.

⁷² يوجد هناك طريقان لوصول اللازورد إلى بلاد الرافدين من مراكزه الأصلية في بدخشان بأفغانستان ومن جبال بامير في طاجيكستان ومن مرتفعات تالل جاكاي في باكستان وهذا الطريقان بما برا عن طريق جبال زاغروس وبحرا عن طريق الخليج العربي وفي الطريق البرية يوجد هناك طريقان للوصول إلى مناجم اللازورد عبر الحدود الشمالية التي سيطر عليها الميتانيون أولاً ومن ثم الآشوريون، والطريق الجنوبي الذي سيطر عليه العيلاميون.

محمد، رعد سالم: الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين، رسالة ماجister، الموصل، 2005، ص 51.

73 Georgina H: The Early Phases of its Trad vol 30, NO 1:London, 1981 p. 21.

74 Postgate, (1979), p. 12.

أتواء بلاد لacı في الفرات الأوسط ومدينة نمد-عشتر⁷⁵ دفع عدد من فسائل التفاخ إلى المملكة؛ لأنها تشتهر بزراعتها⁷⁶، ومن الفواكه المستوردة أيضًا ما دلت عليه إحدى المنحوتات الجدارية التي صورت ما كان يقدم على الموائد الملكية، ويبدو أنه على شكل يتألف من أقسام عدة تشبه الأصابع المرتبطة بقاعدة، وهذا ما يشير إلى فاكهة الموز الذي ينمو على نطاق واسع في سوريا، ويعتقد أنه يستورد من هناك⁷⁷.

وكانت هناك محاصيل زراعية عدة عمل الآشوريون على جلبها وزراعتها داخل بلادهم للاستفادة منها بشكل أكبر، وكان منها نبات السمسم الذي عرف بالسوميرية (SE-13 GIS)، ومعناها حب شجرة الزيت؛ إذ كانت زراعة السمسم شائعة في بلاد الرافدين ولا سيما في بابل، وعمل الآشوريون على إحضارها وزراعتها، فقد كانت تنمو نمواً مفرطاً إلى جانب القمح والشعير⁷⁸، لذا كانت زراعة السمسم من المزروعات المهمة في المملكة، بعد أن أدرك الملوك الآشوريون أهميتها لما لها من فائدة في تهدئة أعصاب الإنسان، ولهذا كانت أسعاره مرتفعة مقارنة بالزيوت الأخرى، وذلك لندرته في بلاد آشور⁷⁹.

كما أدخل الرز بوصفه محصولاً غذائياً إلى بلاد آشور في الألف الأول قبل الميلاد، ومن المعروف أن الرز أصله في الصين؛ إذ ترجع أقدم إشارة تاريخية لزراعته في الصين إلى عهد الإمبراطور "جين ننغ" عند منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، كما ذكر الرز بنموه في بلاد الهند على هيئة نبات وحشي⁸⁰، ويعد نبات الرز من المواد الغذائية

⁷⁵ نمد-عشتر: مدينة تبعد حوالي 60كم شمال غرب الموصل تعرف حالياً بموقع تلعفر. حنون،نايل: مدن قيمة وموقع أثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ص100.

⁷⁶ سعيد، (2006)، ص 115-116. ⁷⁷ كوتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، تر. سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ط2، 1986. ص 143.

⁷⁸ باقر، له: دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية، مجلة سومر، مج 9، 1953، ص 25. ⁷⁹ يعتقد أن أسعار السمسم كانت مرتفعة في بلاد آشور بسبب استيراده من الجنوب واستخدامه لصناعة الزيت نظراً لقلة أشجار الزيتون. باقر (1953)، ص 26. ⁸⁰ باقر (1953)، ص 27.

الغنية بالكاربوهيدرات مولدة للطاقة⁸¹، وهذا الأمر الذي دفع بالآشوريين للحصول عليه من النباتات المهمة المستوردة، وأيضاً هناك أشجار القطن التي أطلق عليها الشجرة التي تحمل الصوف⁸²، وكان للعلاقات التجارية المتينة الأثر الأكبر في إحضار هذه النبتة، وقد اختلف الباحثون في مصدرها؛ إذ يعتقد أن معرفة الآشوريين لزراعة القطن كانت من السودان عن طريق مصر⁸³؛ إذ كانت زراعته الأولى في السودان، وكان على شكل نبات وحشي ثم انتقل إليها، في حين ثمة اعتقاد آخر بأن الآشوريين قد جلبوا شجرة القطن من الهند عبر جزيرة ديلمون، وهذا الرأي هو الأرجح لأن العلاقات الآشورية المصرية لم تكن في العصر الحديث جيدة، أما ديلمون فقد كانت تحت السيادة الآشورية في ذلك الوقت.⁸⁴

من المواد المهمة أيضاً التي سعى الآشوريون للحصول عليها هي مادة الشعب، التي عرف لها استعمالات كثيرة، وتتوعد مصادر الحصول عليها فكانت المنطقة الشمالية من بلاد آشور والمتمثلة ببلاد الحثيين من المناطق المهمة التي استورد منها الآشوريون هذه المادة واشتهروا بها على نطاق واسع⁸⁵، ويشير إلى ذلك أحد النصوص: "يؤخذ الجلد ويغطس لفترة من الزمن في مزيج من الطحين النقي والنبيذ والماء ثم يخرج ويمسح بدهن الثور الجيد، وبالشعب المستورد من بلاد الحثيين"⁸⁶، عرف الآشوريون استيراد هذه المادة أيضاً من منطقة كشابا⁸⁷، كما تعد بلاد النيل من المناطق المهمة في إنتاج الشعب، وحرص الآشوريون على استيرادها منهم أيضاً واستعملوها في تثبيت الألوان على خيوط الغزل والنسيج⁸⁸، وقد ازداد حصول الآشوريين على مادة الشعب بعد حملات الملك

⁸¹ الدياغ، نقى: الزراعة والتحضير (العراق في موكب الحضارة)، ج 1، بغداد، 1988، ص 52.
⁸² ساكن، (1999)، ص 283.

⁸³ الجادر، وليد: الصناعة موسوعة الموصل الحضارية، مج 1، الموصل، 1991، ص 212.

⁸⁴ أونتهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين، تر سعدى فيضى عبد الرزاق، ط 2، بغداد، 1986، ص 116.

⁸⁵ الجادر، وليد: صناعة الحلوى في بلاد الرافدين، مجلة سومر، مجل 27، ج 1-2، 1971، ص 309.

⁸⁶ حبة، فرج: الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، مجلة سومر، مجل 25، ج 1-2، 1969، ص 100.

⁸⁷ وهي المنطقة التي تقع ضمن حدود إقليم توبال جنوب آسيا الصغرى. ⁸⁸ S:New Assyrian , Parpola, Treaties from the Royal Archives of Ninevehin p. 161., 1986, vol 39, Newhaven, الأحمد(1991)، ص 194.

آشور - آخر-أدينا على مصر؛ إذ أشار بكتاباته إلى كثرة الشعب عند تقدمه نحو الدلتا،:
"تقدمت بمسافة أربع ساعات مضافة وفي أرضية مغطاة بحجر الشعب...."⁸⁹

كذلك استورد الآشوريون من مصر مادة النترون التي تكثر في وادي النترون الواقع إلى الغرب من القاهرة، وبعد النترون من المواد المثبتة للألوان⁹⁰، كما استورد الآشوريون مادة العفص الغربية بمادة التينين الدابحة من بلاد الحثيين، والتي استعملت في دباغة الجلود، وهذا ما أشار إليه أحد النصوص: "يغطس جلد الصخلة الشابة بمزيج من الحليب الأصفر والطحين ويزيت بالدهن العادي أو بشحم البقرة الغني، ثم ينقع بمحلول من الشعب في عصر العنبر، ويغطي بثمرة العفص المستورد من الحثيين"⁹¹.

أيضاً استورد الآشوريون أصياغ الأرجوان⁹² من فلسطين للحصول على اللون القرمزي المستعمل في صباغة المنسوجات والأصوف⁹³، واستوردوا البخور من بلاد العرب⁹⁴، وكان العاج⁹⁵ من المواد النادرة التي سعى الملوك الآشوريون للحصول عليها بطريق مختلفة منها عبر الإتاوات والغنائم عبر حملاتهم وكان الحصول على العاج مواد خام أو مواد مصنعة هذا ما أشير إليه في حوليات الملوك الآشوريين، وكان يتم الحصول على الأثاث المطعم بالعاج من المقاطعات الشمالية في سوريا منها كركميش ومدن الساحل، وكان لحملات الصيد التي يقوم بها الملوك دوراً في الحصول على هذه المادة حيث كانوا يقتلون بتصيدهم أعداداً كبيرة من الفيلة أو جلبها حية، وهذا ما يعزى

⁸⁹ الجادر، وليد: *الحرف والصناعات البدوية في العصر الآشوري المتأخر*، بغداد، 1972، ص 164.

⁹⁰ الجادر (1972)، ص 18.

⁹¹ جبة (1969)، ص 100.

⁹² تستخرج هذه الصبغة من صدف الموركس على شكل سائل أرجواني وتنتشر هذه الأصداف على جميع سواحل البحر المتوسط.

⁹³ حتى، فيليب: *تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين*، ترجمة حداد عبد المنعم رافق، ج 1، بيروت، 1958، ص 102.

⁹⁴ الزاوي، فاروق ناصر: *العراق في موك الحضارة الأصلية والتأثير*، ج 1، بغداد، 1988، ص 307.

⁹⁵ ساكز (1979)، ص 310.

⁹⁵ العاج: يمثل أحد المواد النفيسة والصلبة والتي تمتاز بقدرتها على تحمل العوامل الطبيعية فضلاً عن تماسك ذراتها وسهولة الحصول على سطوح مصقوله فيها وكان الحصول على العاج من حيوان الفيل، كما أخذت من حيوان الماموث قبل انقراضه ومن أنياب فيل البحر. عبد الخالق، فريال داود: *النحوذة بالعاج حنورها في عصور ما قبل الإسلام وازدهارها في العصور الإسلامية*، مجلة آفاق عربية، ع 3، 1988، ص 59.

إلى سبب وجود العاج بكميات كبيرة في بلاد آشور، فكانت مدن آسيا الصغرى ومدن بلاد الشام تُعد من المدن الغنية بقطعن الفيلة التي تجوب بين وسط نهر الفرات وشماله، وقرب نهر الخابور وتحديداً بالقرب من منطقة عانة⁹⁶، وهذا ما دفع بالملوك الآشوريين لاستيراده من تلك المناطق، بالإضافة إلى أنهم استوردوه أيضاً من بلاد النيل؛ إذ كانت هي الأخرى غنية بالفيلة، ومن الهند في منطقة وادي السند الغنية بالعاج الذي كانت تصدره إلى منطقة الشرق القديم عبر ديلمون، ومن ثم ينقل عبر روافد نهر دجلة⁹⁷، ودل على ذلك العاجيات التي عثر عليها في مدينة كلخ (نمرود) على اختلاف أساليب نحتها وطرازها ومواضيعها⁹⁸، وكانت تجارتة مربحة جدًا، ولهذا الأمر اهتم الآشوريين بالحصول عليه من مناطق عدة.

النتائج:

من دراسة بحث العلاقات التجارية ما بين بلاد آشور، وبقية المناطق المجاورة لها، يمكن الوقوف على بعض الاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الدراسة ويمكن إجمالها فيما يأتي:

- 1- إن الحروب الخارجية للمملكة الآشورية تركت أثراً واضحاً على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ويمكن القول: إن محمل هذه التأثيرات كانت إيجابية في دعمها للنشاط التجاري والمعيشي على سكان المملكة.
- 2- إسهام العوامل الجغرافية والطبيعية بما في ذلك المناخ وزراعة المحاصيل والمميزات التجارية في رسم الملامح السياسية والاقتصادية للمملكة الآشورية.

96 Elat,M:The Economic Relations of the New-Assyrian Empire with Egypt (jaos),vol 98, USA,1978, p. 23.24.

⁹⁷ يانكوفسكا: العراق القديم, بغداد، 1976، ص 400-401.

⁹⁸ لقد كشفت أعمال التنقيب عن وجود كميات كبيرة من العاجيات في مدينة كلخ (نمرود)، والتي تعود للعصر الآشوري الحديث؛ إذ حوت على أساليب مختلفة في صناعتها، منها الأسلوب الفينيقي الذي طغى عليه الأسلوب المصري فضلاً عن الأسلوب الآرامي على بعض تلك القطع.
باقر، (1963)، ص 597.

- 3- كان للحملات العسكرية والحروب الاقتصادية الناجحة للملوك الآشوريين قد أسهم في زيادة القطاع الزراعي وتطوره الذي انعكس إيجابياً على انخفاض الأسعار وعبر سيطرة المملكة على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، الأمر الذي دفع إلى زيادة المنتجات الزراعية، ومن ثم زيادة المحاصيل الغذائية في المملكة.
- 4- اطلاع الآشوريين على بيئات متعددة وغنية دفعهم إلى جلب منتجات البلدان التي تجاورهم ونباتاتها، وتوطينها وزراعتها داخل حقولهم.
- 5- اعتماد المملكة الآشورية على ما يجاورها من البلدان في تزويدها باحتياجاتها الضرورية، التي كانت تردد المؤسسة العسكرية الآشورية بالمعادن ولاسيما الحديد.
- 6- إسهام الملوك الآشوريين في دعمهم للنشاط الاقتصادي عبر سيطرتهم على الطرق والمنافذ التجارية والعمل على تأمين سير القوافل التجارية، وهذا ما أسهم في زيادة واردات المملكة على حساب صادراتها، وهذا ما حقق ازدهاراً اقتصادياً متكاملاً للمملكة الآشورية.
- 7- إن الظروف السياسية دفعت بالآشوريين إلى الاعتماد على الزراعة والتجارة الخارجية التي تعد بمثابة الرئة التي تنفس عبرها آشور، وهذا ما أسهم في تطور فئات المجتمع بجميع أشكاله.
- 8- يلاحظ أن سياسة الملوك الآشوريين لم تكن في سبيل تشجيع التجارة والاقتصاد فحسب بل عمل الآشوريين على توسيع حدود مملكتهم وتوطيد أركانها ساعيين إلى السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والعسكرية في الاتجاهات كافة.

المصادر والمراجع العربية:

- 1-الأحمد، سامي سعيد، (1991)، التجارة موسوعة الموصل الحضارية، جـ1،
الموصل.
- 2-الأحمد، سامي سعيد، (1977)، المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى، مجلة
سومر، مج 33.
- 3-الجادر، وليد، (1971)، صناعة الجلود في بلاد الرافدين، مجلة سومر، مج 27،
جـ1-2
- 4-الجادر، وليد، (1991)، الصناعة، موسوعة الموصل الحضارية، مج 1،
الموصل.
- 5-الجادر، وليد، (1972)، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري
المتأخر، بغداد.
- 6-الفتیان، أحمد مالک، (1991)، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث،
أطروحة دكتوراه، بغداد.
- 7-الراوي، فاروق ناصر، (1988)، العراق في موكب الحضارة الأصلية والتأثير،
جـ1، بغداد.
- 8-الدباخ، تقى، (1985)، البيئة الطبيعية والإنسان (حضارة العراق)، جـ1، بغداد.
- 9-الدباخ، تقى، (1988)، الزراعة والتحضر (العراق في موكب الحضارة)، جـ1،
بغداد.
- 10-أحمد، علي ياسين، (2000)، القبائل العربية في بلاد بابل خلال الألف الأول
قبل الميلاد، وقائع ندوة الوطن العربي عبر التاريخ، بغداد.
- 11-أوبنهايم، ليو، (1986)، بلاد ما بين النهرين، تر: سعدي فيضي عبد الرزاق،
طـ2، بغداد.

- 12- ايمار ، اندرية، وجانين ابوابية: تاريخ الحضارات العام، تر فريد م.داغر وفؤاد ج. أبو ريمان، مج 1، بيروت، 2006
- 13- باقر، طه، (1963)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، ط 1، بغداد.
- 14- باقر، طه، (1953)، دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية، مجلة سومر، مج 9، ج 1.
- 15- جاكبسون، التركيب الاجتماعي للإمبراطورية الآشورية الحديثة، العراق القديم، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد.
- 16- حبة، فرج، (1969)، الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، مجلة سومر، مج 25، ج 1-2.
- 17- حتى، فيليب، (1958)، تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد المنعم رافق، ج 1، بيروت.
- 18- حمود، حسين ظاهر، (2000)، ابتكار النقود في العصر البابلي القديم والتعامل التجاري بالصكوك وتأثيره على البلدان المجاورة، بحث ألقى في الندوة العالمية لمهرجان بابل الدولي، بغداد.
- 19- حنون، نائل، مدن قديمة ومواقع أثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق.
- 20- ديلابورت، ول، بلاد ما بين النهرين حضارة بابل وآشور، ترجمة حمر كمال.
- 21- رشيد، فوزي، (1987)، الشرائع العراقية القديمة، ط 3، بغداد.
- 22- ساكيز ، هاري، (1979)، عظمة بابل، تر: عامر سليمان، الموصل.
- 23- ساكيز ، هاري، (1999)، قوة آشور، تر: عامر سليمان، بغداد
- 24- سعيد، صفوان سامي، (2001)، ملكية الأراضي في العصور الآشورية، الموصل.

- 25- سعيد، صفوان سامي، (2006)، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء النصوص المسمارية، أطروحة دكتوراه، الموصل.
- 26- سليمان، عامر وآخرون، (1999)، المعجم الأكدي، ج 1، بغداد.
- 27- سليمان، عامر، (1988)، النظم المالية والاقتصادية، العراق في موكب الحضارة، ج 1، بغداد.
- 28- سليمان، عامر، (2002)، نماذج من الكتابات المسمارية، النصوص القانونية، ج 1، بغداد، 2002
- 29- سعيد، صفوان سامي، (2001)، ملكية الأراضي في العصور الآشورية، رسالة ماجستير، الموصل
- 30- سومو، دوبونت، (1963)، الآراميون، تر: الأب أليبر أيونا، سومر، مج 19.
- 31- طه، متير يوسف، (1991)، علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة، (موسوعة الموصل الحضارية)، مج 1، الموصل.
- 32- عبد الخالق، فريال داود، (1988)، الزخرفة بالعاج جذورها في عصر ما قبل الإسلام وازدهارها في العصور الإسلامية، مجلة آفاق عربية، ع 3.
- 33- فرحان، وليد محمد صالح، (1976)، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير، بغداد.
- 34- كانجيك، إيفا، (2008)، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق اسماعيل، دمشق.
- 35- كوننينو، جورج، (1986)، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، تر: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط 2، بغداد.
- 36- محمد، رعد سالم، (2005)، الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير، الموصل.
- 37- يانكوفسكا، (1976)، العراق القديم، بغداد.

References:

- 1- Driver , G .R. and Miles, J.C ,(1935), The Assyrian Laws , Oxford.
- 2- Elat, M,(1978), The Economic Relations of the Neo-Assyrian Empire With Egypt, (Jaos), vol 98,USA. .
- 3- Garelli, P, Marchands et Tamkaru Assyrian en Cappadoce, Iraq, vol 1.
- 4- Georgina, H, (1981), The Early Phases of its Trade, Iraq, vol 30, NO:1, London.
- 5- Laessoen,J, (1963), People of Ancient Assyria, London.
- 6- Larsen, M.T, (1967), Old Assyrian Caravan Procedures, Netherland.
- 7- Luckenbill, (1926), Ancient Records of Assyria and Babylonian, vol 1, Chicago.
- 8- Oates, D, (1968), Studies in the Ancient History of Northern Iraq, London.
- 9- Parpola, S, (1986), New Assyrian Treaties from the Royal Archives of Ninevehin, vol39, Newhaven.
- 10- Postgate, J.N, (1979), Taxation and Gonse Ription In the Assyrian Empire, Rome.
- 11- Rander, K, (2001), "The Neo -Assyrian Period " security for Debt in Ancient Near Eastern Law, Netherlands.
- 12- Reynolds, F,(2003), The Babylonian Correspondence of Esarhaddon"SAA", vol 18, Finland.
- 13- Saggs, H.W. F, (1868), The Tell Al Rimah Tablets , Vol 30, Iraq.
- 14- Veenhof, K.R, (1972), Aspects of Old Assyrian Trade and its Terminology, Leiden.